تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

بدا أن الحرب التي أطلقتها الولايات المتحدة واسرائيل، وفق رهان اساسي لم يتحقق يتمثل في سرعة تساقط النظام الايراني او اخضاع البلاد استسلاما، اقله من خلال اشعال "انتفاضة شعبية"، دخلت منعطفا جديدا، فاما بدء النزول عن شجرة الحرب، او الانتقال الى مستوى اخطر من الصراع اقليميا او عالميا

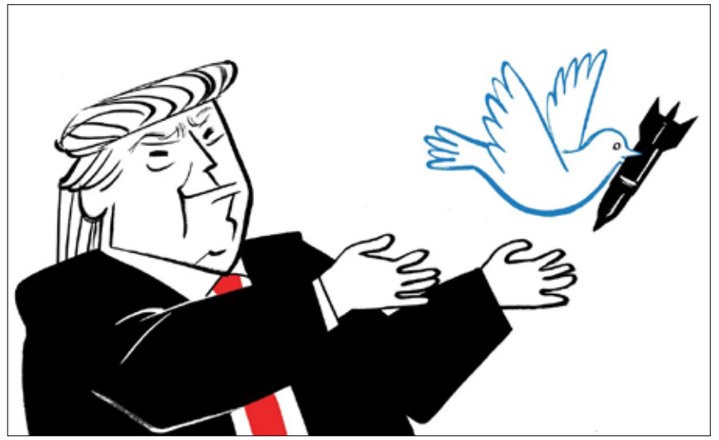

أكبر من حرب إقليميّة وأقلّ من حرب عالميّة

لا يزال العالم يحاول فهم ابعاد قرار الرئيس الاميركي دونالد ترامب بدء حربه بالتعاون مع اسرائيل على ايران في 28 شباط الماضي، والتي استهلت باغتيال المرشد الاعلى للثورة الاسلامية السيد علي خامنئي، ومجموعة من كبار القادة العسكريين والامنيين، فيما يبدو ان رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو، استند على تقديرات رئيس جهاز الموساد الاسرائيلي ديفيد برنياع، بان الهجمة على ايران ستشعل انتفاضة فيسقط النظام تلقائيا، وهي نظرية يبدو ان نتيناهو اقنع ترامب باعتمادها، بخلاف التقديرات السائدة في وكالات واجهزة الاستخبارات والبنتاغون حول هذه النقطة تحديدا.

كان من الواضح انه بعد مرور اكثر من 3 اسابيع على الحرب التي تحولت اقليمية وتكاد تتحول الى "حرب عالمية مصغرة"، فان مبرراتها لم تكن مقنعة ولا مستندة على اسس واضحة، فيما كانت ذرائعها متباينة ومتخبطة، بما في ذلك قول ترامب مثلا ان ايران كانت على بعد "ايام" من امتلاك سلاح نووي، وانه لو لم يضرب منشاتها النووية في الصيف الماضي، لكانت صنعت قنبلة نووية واستخدمتها ضد الولايات المتحدة.

هذا مجرد مثال وحيد من امثلة كثيرة سيقت في اطار تبريرات الحرب التي تحدث الاميركيون والاسرائيليون بداية عن انها قد تستمر اياما، واذا بها تتمدد زمنيا وجغرافيا، وصارت نيرانها تطال لبنان والعراق والاردن ودول الخليج الستة بالاضافة طبعا الى الكيان الاسرائيلي نفسه، فيما تتزايد المخاوف من توسع الصراع لتنخرط فيه دول من خارج المنطقة، خصوصا بعدما تمكنت ايران من التسبب بصدمة عالمية في قطاع الطاقة باغلاق مضيق هرمز بنسبة تتخطى 90% من حركة العبور.

لكن الاكثر خطورة من التبريرات الهشة للحرب والتي جاءت برغم جلسات التفاوض النووي بين الاميركيين والايرانيين برعاية عمانية، ان جانبا من حسابات معركة الهجوم على ايران، بنيت على فرضية ان مخزونها من الصواريخ الهجومية سيتبدد سريعا،

وهو ما تجلى في تصريحات ترامب بعد مرور اسبوع فقط من بدء الحرب، بأن قدرات ايران الصاروخية تلاشت بنسبة 90%، وهو رقم بدا لكثيرين خرافيا، او مجرد تمنيات، ذلك ان الايرانيين واصلوا بعد ذلك استخدام موجات متتالية من الهجمات، وفي احيان كثيرة موجات عدة في اليوم لواحد، ليظهر في المقابل، انه وفق تقارير اسرائيلية واميركية، ان مخزونات الصواريخ الاعتراضية الممتدة والمنتشرة من دول الخليج والقواعد الاميركية وصولا الى العراق والاردن واسرائيل، هي التي بدأت تعاني من نقص.

> **لم تندلع انتفاضة ايرانية ولم يتهاوَ النظام الايراني**
>
> **تباين استخبارات اسرائيل واميركا: لا تهديد وشيكا من ايران**

إيران وهرمز

بدلت الحرب على إيران رؤيتها لمضيق هرمز الذي تمر عبره خمسة مصادر الطاقة في العالم، وهنا تقديرات بأنها ستفرض إجراءاتها الخاصة وسلطتها المباشرة عليه، بما في ذلك احتمال منع السفن العسكرية الغربية من استخدامه. وصارت ايران تقول ان ممارسة سيادتها على المضيق حق طبيعي وقانوني لها، ويعد ايضا ضمانة لتنفيذ التزامات الطرف المقابل، ويجب الاعتراف به، بينما قال وزير الخارجية عباس عراقجي ان المضيق تحول هزيمة اخرى للعدو، وندرس ترتيبات خاصة لادارته حتى بعد الحرب.

وبحسب "بلومبيرغ"، فان إيران تفرض رسوم عبور تصل الى مليوني دولار لكل رحلة على بعض السفن التجارية التي تمر عبره. وبعدما اكتظ المضيق بالسفن العابرة، قال مسؤول ايراني بحسب "سي ان ان"، ان طهران تدرس خطة للسماح بمرور عدد محدود من ناقلات النفط عبر المضيق، في مقابل ان يباع النفط المنقول باليوان الصيني بدلا من الدولار الاميركي.

في المقابل، قال الرئيس ترامب "سأسيطر على مضيق هرمز مع آية الله القادم أيا كان شخصه".

لهذا ربما، ولأسباب اخرى، عندما خرج ترامب فجاة في 23 شباط ليعلن عن تاجيل مؤقت لضرباته لمدة 5 ايام، والتي توعد بها ضد منشات الطاقة الايرانية، وعن وجود اتصالات "مثمرة ومعمقة" مع الايرانيين، بدا ان كثيرين لم يأخذوه على محمل الجد، او شككوا بنواياه الحقيقية، خصوصا ان جهات ايرانية عدة نفت وجود مفاوضات، مما اثار تكهنات بأن الرئيس الاميركي يحاول الادعاء امام الاميركيين، وامام دول مجموعة السبع الكبرى القلقين من التداعيات الاقتصادية للحرب مع اغلاق مضيق هرمز، بأن نهاية الحرب وشيكة، للحد من ارتفاع سعر البنزين على المواطنين - الناخبين الاميركيين انفسهم، وعلى اسواق النفط والغاز عالميا، حيث تخطى برميل النفط 100 دولار.

وقد تعززت هذه الشكوك مع اعلان الخارجية الايرانية ان تصريحات ترامب هدفها خفض اسعار الطاقة، وكسب المزيد من الوقت لتنفيذ خططه العسكرية، خصوصا في ظل الاعلان الاميركية عن ارسال تعزيزات من آلاف الجنود المجوقلين الى المنطقة، استعدادا اما للتلويح باستخدامهم باطار الضغط، او استخدامهم فعليا في عملية انزال لاحتلال، كما رجحت معلومات، جزيرة خرج، التي تعتبر المعقل المركزي لحركة صادرات النفط الايراني، مما يعني خنق ايران اقتصاديا.

وعلى الرغم ان ترامب لم يحدد مع من في ايران يجري مفاوضات، باستثناء اشارته الى انهم "الاشخاص المناسبون"، تناولت تقارير ان اتصالات غير مباشرة مع المبعوثين الاميركيين ستيف ويتكوف وجاريد كوشنر وماركو روبيو، من خلال باكستان كوسيط، مع رئيس البرلمان الايراني محمد باقر قاليباف، وهي محادثات كان يفترض بديهيا ان تتم مع امين المجلس الاعلى للامن القومي علي

لاريجاني الذي - لمصادفة عجيبة - اغتاله الاسرائيليون قبل ذلك بايام قليلة.

مع ذلك، فان النقطة الاساس هي ان ترامب بدأ يتلقى الكثير من الانتقادات الداخلية والخارجية بما في ذلك من دول حليفة لواشنطن تاريخيا، حول قراره اللجوء الى خيار الحرب، وهذا ايضا ما قد يفسر جزئيا اعلانه عن وجود مفاوضات، ويفسر ايضا انه بعد اكثر من 3 اسابيع من الحرب، لام وزير دفاعه بيت هيغسيث ضمنيا بأنه هو اول من اخبره "لنفعل ذلك لأنه لا يمكننا السماح لهم بامتلاك اسلحة نووية".

في كل الاحوال، يدرك ترامب مخاطر التخبط مطولا في حرب بينما كان يعد قاعدته الانتخابية بأنه سينهي فكرة "الحروب اللانهائية" التي تورطت فيها الادارات الاميركية السابقة، خصوصا ان الانتخابات الاميركية النصفية تحل في تشرين الثاني المقبل، وذلك في وقت اظهر استطلاع لوكالة "رويترز" انخفاض شعبية ترامب الى 36% وهو ادنى مستوى له منذ عودته الى البيت الابيض، وذلك بعدما كانت شعبيته تبلغ 40% قبل ذلك بأسبوع واحد، وهو تراجع مرده الاساسي ارتفاع اسعار البنزين والرفض الواسع للحرب على إيران.

من المهم التذكير بأن ترامب كان وجه

ترامب و"الناتو"

تذمر الرئيس الاميركي ترامب مرارا من عدم مشاركة الدول الغربية والاسيوية الحليفة له، وتحديدا دول حلف "الناتو"، في حربه على ايران. رئيس اركان الجيش الفرنسي فابيان ماندو قال: "اننا نأسف لقرار اميركا التدخل في الشرق الادنى والشرق الاوسط من دون اخطارنا. الحليف الاميركي اصبح اقل قابلية للتنبؤ، ولا يكلف نفسه حتى عناء ابلاغنا بعملياته".
وقد عبر ترامب عن استيائه ازاء التخلي عنه قائلا: "ان دول حلف الناتو لم تفعل شيئا على الاطلاق للمساعدة في ما يتعلق بإيران. لن ننسى تخلي دول الناتو عن المساعدة في إيران".

تهديدا لايران بضرب منشاتها للطاقة في 21 آذار، وامهلها 48 ساعة مضيق هرمز. لكن ايران لم تستجب، بل انها رفعت وتيرة تهديداتها المقابلة، فعاد ترامب وتراجع قليلا قبل انتهاء المهلة بساعات، واعلن عن تعليق ضرباتها

"التهديد الوشيك"!

هناك تحذيرات داخل مجمع الاستخبارات الاميركية من ان اعتماد الرئيس ترامب على معلومات تفتقر للدقة، ستقود الى كارثة على الصعد الامنية والاقتصادية، سواء بالنسبة الى الولايات المتحدة نفسها، او الى هذه المنطقة التي تم تجاهل ديناميكياتها. مدير وكالة المخابرات المركزية السابق جون برينان قال انه لا تتوافر معلومات استخباراتية تشير الى وجود تهديد وشيك من جانب ايران، وان ادارة ترامب تنشر "اكاذيب متسارعة" لتبرير حرب لا مبرر لها. واوضح ان تعبير "وشيك" يعني تقنيا ان "الفرصة الاخيرة لمنع التهديد هي الآن، وهو ما لم يظهر في اي تقارير استخباراتية رصينة حول البرنامج النووي او الصاروخي الايراني"، وان ادارة ترامب تتجاهل التقييمات الموضوعية لصالح اجندات سياسية، مؤكدا أن "الاكاذيب تأتي بسرعة وقوة لتبرير الحرب".

5 ايام. لكن ايران كانت قد توعدت بإجراءات عدة، تنذر بأن الحرب قد تخرج عن السيطرة تماما، من بينها التهديد باستهداف كل البنى التحتية للطاقة، وتكنولوجيا المعلومات، تحلية المياه التابعة للولايات المتحدة وللانظمة التي وصفتها بأنها حليفة لها في المنطقة؛ تشديد اغلاق مضيق هرمز بالكامل امام الملاحة التجارية؛ وتدمير جميع الشركات المماثلة في المنطقة التي يمتلك فيها مساهمون اميركيون؛ تدمير محطات الطاقة في دول المنطقة التي تستضيف قواعد اميركية؛ قصف مفاعل ديمونا؛ والاعلان عن "الجهاد الاكبر" في منطقة غرب آسيا؛ وان اي محاولة لمهاجمة السواحل او الجزر الايرانية ستؤدي حتما الى زرع جميع طرق الوصول وخطوط الاتصال في الخليج وسواحله بالالغام البحرية.

مع ذلك، سربت وسائل اعلامية عدة "البنود الـ15" التي لفت اليها ترامب، والتي يفترض انه نقلها الى الايرانيين الذي اظهروا فتورا في اظهار اي حماسة لها.

تتضمن البنود الاميركية المقترحة التالي:

- تفكيك القدرات النووية الحالية.
- التزام ايران بعدم السعي مطلقا لامتلاك سلاح نووي.
- عدم تخصيب اي مواد على الاراضي الإيرانية.
- تسليم جميع المواد المخصبة الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية ضمن جدول زمني قريب يتم الاتفاق عليه بين الأطراف.
- اخراج منشآت نطنز واصفهان وفوردو من الخدمة، وتدميرها.
- اتاحة وصول كامل للوكالة الدولية للطاقة الذرية الى جميع المعلومات داخل ايران.
- تخلي ايران عن استراتيجية "الوكلاء" الاقليميين ووقف تمويلهم وتسليحهم.
- بقاء مضيق هرمز مفتوحا، كمنطقة بحرية حرة دون ان يقوم اي طرف باغلاقه.
- مشروع الصواريخ: سيتم اتخاذ قرار في شأنه لاحقا، مع ضرورة فرض قيود على العدد والمدى.
- استخدام القدرات العسكرية مستقبلا سيكون لأغراض الدفاع الذاتي فقط.
- رفع جميع العقوبات عن ايران.
- تقديم المساعدة الى ايران في تطوير وتعزيز مشروع نووي مدني في بوشهر (لتوليد الكهرباء).
- الغاء تهديد "سناب باك" (اعادة فرض العقوبات تلقائيا).

واتبعت واشنطن تسريب هذه المقترحات بعد تلقي الفتور الايراني الاولي، برفع لهجة التخاطب، وقالت المتحدثة باسم البيت الابيض انه "اذا لم يفهم الايرانيون أنهم هزموا فإن الرئيس ترامب سيعمل على ضربهم بشكل اقوى".

في المقابل، خرجت من جانب مسؤولين ايرانيين افكار حول ما يجري، وذكروا بـ "الخيانتين" الماضيين اللتين قامت بها واشنطن بالانقلاب على مسار التفاوض وشن حرب، حيث قال مسؤول سياسي امني كبير لقناة "برس تي في" ان دفاع ايران عن نفسها مستمر الى ان تتحقق الشروط التالية:

- توقف العدوان والاغتيالات من العدو.
- ايجاد ظروف واقعية تضمن عدم تكرار الحرب مرة أخرى.
- ضمان دفع التعويضات، وخسائر الحرب، وتحديدها بشكل واضح.
- انهاء الحرب في جميع الجبهات، وبما يشمل جميع فصائل المقاومة التي شاركت في هذه المعركة في انحاء المنطقة.

أزمة أسمدة

مع تعطل المرور عبر مضيق هرمز، تبرز ازمة اخرى، تتمثل في نقص الاسمدة التي تهدد محاصيل العالم من الحبوب مع ارتفاع اسعارها. وقد ارتفعت اسعار الاسمدة النيتروجينية بنسبة 40% منذ بداية الحرب. يتدفق عبر مضيق هرمز نحو ثلث تجارة الاسمدة العالمية، وتعتمد صناعتها اساسا على الغاز الطبيعي.